سلسلة تفريغات شبكة بينونة

دروس وعبر من

قصة قارون

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرملي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

دروس وعبر من

قصة قارون

للشيخ

د. سعيد بن سالم الدرمكي

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفر، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:-

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

وبعد ..

فإن رب العالمين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ابتلانا بفتنةٍ عظيمة، هذه الفتنة في الدنيا وهي فتنة المال، هذا المال أحبه العباد وتنافسوا في تحصيله، واستثماره، وجمعه، وزيادته.

قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[آل عمران:١٤].

وقال -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر:٢٠].

وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ لِكُل أُمَّةٍ فِتْنَة، وَإِنَّ فِتْنَة أُمَّتِي فِي المَالِ»[(١)].

وشريعتا وضعت المبادئ العامة لهذا المال وطريقة التعامل معه، فمن ذلك:

أن المال في الحقيقة هو مال الله -عَزَّ وَجَل-، مالكه الحقيقي هو الله، ونحن مستخلفون فيه، قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد:٧] فالمالك الحقيقي لهذا المال هو الله -عَزَّ وَجَل-.

وهو الذي يقسمه بين العباد، قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[الرعد:٢٦].

وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِن، والله يُعطِي»[(٢)]. والعبد سيأخذ من هذا المال ما قدَّر الله -عَزَّ وَجَل- له دون زيادةٍ ولا نقصان، بل لن يموت أحدنا حتى يستكمل رزقه كاملًا، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِي رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُم»[(٣)]، فرزقك

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨ / ١٧) برقم: (٣٢٢٣)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٨٤) برقم: (٣١١٤)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨ / ٣٢) برقم: (٣٢٣٩)

سيأتيك، بل لن تموت في هذه الدنيا وتخرج إلا وقد أخذته كله بلا نقصان، «وَإِنَّ رِزْق العَبْد لَيَطْلُبُهُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُه».

فإذا أيقن المسلم بهذه الأمور حمله على:

☜ **أولًا**: أن يسأل المال من ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لأنه هو الذي يملكه، فالمعطي هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلا تسأل الناس المال، سل الله، كما قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لابن عباس: «إِذَا سَأَلْت فاسْأل الله»[1] حتى في الديون وفي سدادها، علمنا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من الأدعية ما ييسر الله -عَزَّ وَجَل- به سداد الدين، مثل: «اللهمَّ اكْفِني بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ»[2].

☜ **ثانيًا**: إذا علمنا هذا الأمر فلا يحسد بعضنا بعضًا، ولا يبغي بعضنا على بعض؛ لأن هذا الإنسان ما أغناه إلا الله، وهذا الإنسان ما أفقره إلا الله، وفي ذلك حكمة، فالله -عَزَّ وَجَل- لا يُعطي بدون حكمة، ولا يمنع بدون حكمة، بل لحكمة، والله لا يظلم أحدًا من عباده.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦)

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٥٢٦) برقم: (٣٥٦٣)

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ الله- موضحًا بعض الحكَم من اختلاف الرزق بين العباد: (قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع، والغنى لآخرين أنفع، كما تكون الصحة لبعضهم أنفع، والمرض لبعضهم أنفع).

وبعض الناس يعتقد أن الرزق في المال فقط، لا، المال جزء من الرزق، كونك مسلم هذا رزق، كونك على السنة هذا رزق، الصحة رزق، الزوجة رزق، الأولاد من الرزق، العلم من الرزق، هذه كلها أرزاق، هذه كلها أنواع أرزاقٍ يتمتع بها العبد في هذه الحياة الدنيا.

والمال في الدين أو في الدنيا له فوائد كثيرة، من فوائد المال:

- أنه قوام العبادات والطاعات، به قام سوق الحج والجهاد، فالحج لا يكون العبد فيه مستطيعًا إلا بأن يملك المال، والجهاد ينقسم إلى قسمين:
  - جهادٌ بالنفس.
  - وجهادٌ بالمال.

وقد يكون الجهاد بالمال في بعض الأحيان أنكى وأقوى من الجهاد بالنفس.

- بالمال يحصل الإنفاق الواجب والمستحب.
- بالمال تحصل القربات من عتق الرقاب، والوقف، وبناء المساجد.

⇦ بالمال يتوصل إلى النكاح والزواج.

إذن بالمال تقوم العبادات والطاعات، كما أن المال سببٌ لعمارة الأرض لأجل إقامة العبودية لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ولكن اختلف الناس في تعاملهم مع المال أخذًا وإعطاءً، وقد صنفهم النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى أربعة أقسام، فقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا» مال وعلم «فَهُو يَتَّقِي فِيهِ رَبَّه، وَيَصِل فِيهِ رَحِمَه، وَيَعْلَم لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَل المَنَازِل، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَم يَرْزُقَهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِق النِّيَّة، يَقُول: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْت بِعَمَلِ فُلَان، فَهُوَ بِنِيَّتِه، فَأَجْرُهُمَا سَوَاء، وَعَبْدٍ آتَاهُ الله مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ لَا يَعْرِف فِيهِ حَقًّا، لَا يَصِل بِه رَحِمَه» قال: «فَهَذَا فِي أَخْبَث المَنَازِل، وَعَبْدٍ لم يُؤْتِه الله لَا عِلْمًا وَلَا مَالًا، يَقُول: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَفَعَلْت بِفِعْلِ فُلَان» قال: «فَهُمَا فِي الوِزْرِ سَوَاء»[1].

❁ هذا الحديث انقسم الناس فيه إلى قسمين رئيسيين:

الأول: قسمٌ محمود وهو من جمع المال وصرفه في أوجهه الشرعية متقربًا بذلك إلى الله، وهذا كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وصحابته الكرام كأبي بكرٍ، وعُمَر، وعثمان، وعلي، كانوا من التجار.

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ١٥٣) برقم: (٢٣٢٥)

قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يَا عَمْرو، نِعْمَ المال الصَّالِح لِلْمَرْءِ الصَّالِح»[١].

وأخرج الترمذي عن ابن عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ- أنه قال: **"ما أبالي لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا أعلم عدده وأزكيه، وأعمل فيه بطاعة الله"**.

وجاء في الأخبار: **"أن عائشة -رَضِيَ الله عَنْها- أُعطيت مئة ألف درهم"**، قيل: من معاوية، وقيل: من ابن الزبير -رضي الله عن الجميع- **"وكانت صائمة، فجعلت تقسمه بين الناس، حتى أتت عليه كله، فقالت الجارية: يا أماه لو تركتِ لنا درهمًا نشتري به ما نفطر عليه، فقالت: لو ذكرتني لفعلت"** ما كان همهم المال، يأتيهم المال، لكن ما كان همهم، أمثال هؤلاء هم الذين قال فيهم النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ الله مالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ»[٢]؛ أي: على هلكة المال فيما شرعه الله -عَزَّ وَجَل-.

القسم الثاني: المال المذموم الذي لا يراعي صاحبه فيه حقًّا مع شدة حرصه على جمعه وإكثاره، وهذا من أسباب إفساد الدين.

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨ / ٦) برقم: (٣٢١٠)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٥) برقم: (٧٣)

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن كعب بن مالكٍ- وهذا مثلٌ يبين لنا إفساد المال للدين إذا كان مذمومًا- قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهُمَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَف لِدِينِه».

لماذا ذكر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- الذئب ولم يذكر غيره كالكلاب والأسود والثعالب ونحوها؟

قيل: لأن الذئب ليس له من الهم إلا الافتراس، فإنه يفترس ويقتل ولا يأكل، فربما دخل على مجموعة غنمٍ فيقتلها كلها وينصرف، فقال: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهُمَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَف لِدِينِه»[1].

يقول ابن رجب، وله رسالةٌ جميلة في شرح هذا الحديث، يقول: (فهذا مثلٌ عظيمٌ جدًّا ضربه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنهما رعاؤها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلومٌ أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا القليل)

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨ / ٢٤) برقم: (٣٢٢٨)

قال: (وفيه إشارة إلى أنه لا يسلمُ من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل).

ومعنا اليوم قصة ذكرها الله -عَزَّ وَجَل- في القرآن لرجلٍ من بني إسرائيل من قوم موسى -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، رجلٌ رزقه الله المال، ولكنه افتُتِنَ به حتى طغى وتجبَّر وكفر، فكانت عاقبته خسرًا، ألا وهو قارون.

قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[القصص:٧٦].

قارون من قوم موسى لم يكن معروفًا، فردٌ من القوم، لكن رزقه الله -عَزَّ وَجَل- المال، قال: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾.

✍ **هذا يبيِّن لنا ما ذكرناه في المقدمة: معطي المال من هو؟**

الله.

فيقول الله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ **ما صفتها؟**

﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ مفاتيح الخزائن وليست الكنوز، ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (العصبة): من تسعة إلى عشرة، المفاتيح ما يحملها إلا عشرة أشخاص، إذن كيف بالذي في المخازن؟ شيء لا يوصف من كثرته؟

✍ هذا المال ماذا أدى به؟

قال: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ وظهرت عليه آثار الغنى والبطر والبغي، وهكذا صفة المال.

❁ فنصحه قومه من أهل التقوى، ونصحوه بجملةٍ من الوصايا تنفعنا جميعًا؛ ولذلك سنطيل فيها؛ لأنها تهمنا:

قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾[القصص:٧٦-٧٧].

خمس وصايا ونصائح:

☜ الأولى: ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾؛ أي: لا تبطر بما أنت فيه من الأموال؛ لأن ﴿اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

قال ابن عباس: (يعني المرحين).

وقال مجاهد: (يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم)

والفرح في نصوص الكتاب والسنة على نوعين:

⇦ فرحٌ محمود.

⇦ وفرحٌ مذموم.

هذه التقسيمات تفيدك أثناء تلاوتك للقرآن الكريم وتدبر الآيات.

الفرح المحمود: هو الفرح بنعمة الله -عَزَّ وَجَل-، وبما يحققه العبد من أوامر ربه، وما يجتنبه من نواهيه.

كما قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ (١٧٠)﴾[آل عمران:١٦٩-١٧٠] هذا فرح محمود.

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨]،

قيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وقيل: السنة.

وقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»[1] فهذا فرحٌ محمودٌ.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/ ٢٤) برقم: (١٨٩٤)

وهناك فرحٌ مذموم: وهو الذي يكون لأمرٍ محرم، أو لفرحٍ محرم، أو الذي يؤدي للكبر والبطر والأشر والعُجب، فيُنسي العبد شكر ربه، ويركن بالنعم إلى الدنيا وينسى الآخرة.

كما قال الله -عَزَّ وَجَل- عن اليهود: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران:١٨٨].

قال ابن عباس والأثر في البخاري: **"دعا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يهود، فسألهم عن شيءٍ، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره"**؛ يعني كذبوا على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، **"فأروه أن قد استُحْمِدُوا إليه بما أخبروه فيما سألهم عنه"** يعني أنه قد مُدِحُوا وأُثْنِي عليهم، ونالوا مرتبةً طيبة لأنهم أخبروا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن السؤال الذي سألهم إياه، **"وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم"** وفرحوا بأنهم كتموا وكذبوا على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، **"ثم أنزل الله -عَزَّ وَجَل- هذه الآية"**، فهذا الفرح ناتج عن أمرٍ محرَّم.

وكذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان إذا خرج -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله**

-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فإذا قَدِمَ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمَدُوا بما لم يفعلوا، فأنزل الله هذه الآية كذلك".

☜ الوصية الثانية: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾[القصص:٧٧]؛ أي استعمل هذا المال الذي وهبك الله -عَزَّ وَجَل- إياه في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة، وهذا إخواني الأفاضل هو المقصود بالمال، استعماله بما يعود عليك بالنفع في الدنيا والآخرة.

✍ طيب، لماذا ابتدأ بالآخرة قبل الدنيا؟

✍ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لماذا لم يقدِّم الدنيا على الآخرة؟

قالوا: لأن ما قُدِّم للآخرةِ يدوم، وما قُدِّم للدنيا دون الآخرة يزول، فقدَّم ما يدوم على ما يزول، وبيَّن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- هذا المعنى: أن المال الذي ينفع صاحبه على الحقيقة هو ما قدَّمه لآخرته.

قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- «أَيُّكُم» يقول للصحابة: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟»[1] أيكم يحب المال الذي سيتركه لورثته، ويقدمه على ماله الذي بين يديه قبل أن يموت؟ "قَالُوا: مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَال وَارِثه"

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٩٣) برقم: (٦٤٤٢)

الفلوس التي بين يديك الآن وأنت حيٌّ أفضل عندك من التي تبقيها بعد وفاتك، ما تعرف ماذا يفعل فيها الأبناء، وكيف يتصرفون فيها، وقد جمعتها سنين مديدة طويلة.

فقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «اعْلَمُوا أَنَّ لَيْسَ مِنْكُم أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، مَالُك مَا قَدَّمت، وَمَالُ وَارِثُك مَا أَخَّرت» والحديث رواه مسلم.

وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يَقُول الْعَبْد: مَالِي مَالِي، لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِك إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْت، وَمَا لَبِسْتَ فَأَبْلَيْت، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْت»[1].

وبيَّن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَنَّ العَبْدَ إِذَا مَاتَ ودُفِن يَرْجِع عَنْهُ أَهْلَهُ وَمَالُه، وَيَبْقَى مَعَهُ فِي قَبْرِه عَمَلُه»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤٨٠)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٧) برقم: (٦٥١٤) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١١) برقم: (٢٩٦٠)

❁ فالمال له أثرٌ على العبد يوم القيامة، وصور ذلك كثيرة:

أولًا: رب العزة -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- حثَّ على إنفاق المال استعدادًا لليوم الآخر، قال -عَزَّ وَجَل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

ثانيًا: من المال ما يدوم نفعه بعد الموت، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِذَا مَاتَ ابن آدَم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاث: صَدَقَة جَارِيَة، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»(١).

بيَّن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: (أَنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ استَفَادَ مِنْ نَفَقَتِهِ لِلمَالِ) فمن ذلك: ما جاء عن أبي هريرة -رَضِيَ الله عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَع خَفْقَ نِعَالِهِم حِينَ يُوَلُّون عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَت الصَّلاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالصِّيَامُ عَنْ يَمِينِه، وَالزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِه، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ والمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِندَ رِجْلَيْه، فَيُؤْتى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُول الصَّلاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَل، ثُمَّ يُؤْتى عِنْ يَمِينِه فَيَقُول الصِّيَام: مَا قِبَلِي مَدْخَل، ثُمَّ يَأْتِي عَنْ يَسارِهِ فَتَقُول الزَّكَاة: مَا قِبَلِي مَدْخَل، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْه، فَيَقُول فِعْل الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ والصِّلَةِ

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ٧٣) برقم: (١٦٣١)

والمَعْرُوف والإِحْسَان إِلَى النَّاس: مَا قِبَلِي مَدْخَل، فَيَقُول لَهُ: اجْلِس، فَيَجْلِس قَدْ مُثِّلَت لَهُ الشَّمْس، وَقَدْ أُدْنِيَت للغُرُوب، فَيُقَال لَه: أَرَأَيْتُكَ هَذَا الرَّجُل الذِي كَانَ فِيكُم مَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ؟»[1] ثم ذكر الحديث.

فوجه الدلالة: أن إنفاقك للمال ينفعك في قبرك، الصدقة والنفقة بالسر سببٌ لاستظلال العبد تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة، الشمس قريبةٌ من الرؤوس بمقدار ميل، لا يوجد شجرٌ، ولا حجرٌ، ولا جبل تستظل تحته، الحر قد ألجم الناس، لا ظل إلا ظل عرش الرحمن -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ومن أسباب الاستظلال بظل العرش: قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» قال: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[2]. المال ينفعك يوم القيامة، الصدقة، إنفاق المال؛ سببٌ للنجاة من النار يوم القيامة:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٠) برقم: (١٣٣٨) ، (٢ / ٩٨) برقم: (١٣٧٤) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٧٠)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣٣) برقم: (٦٦٠) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٩٣) برقم: (١٠٣١)

- قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لعائشة: «يَا عَائِشَة، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِق تَمْرَة، فَإِنَّهَا تَسُد مِنَ الجَائع مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ»(١).

- وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- للناس في يوم الفطر: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاء، تَصَدَّقْن، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهَل النَّارِ»(٢) فكأن الصدقة سببٌ للنجاة من النار.

- الصدقة تطفئ الخطيئة والذنب، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئ الخَطِيئَة»(٣).

- التنفيس عن المعسر بسبب الدين سببٌ لأن ييسر الله عليك يوم القيامة، قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «ومَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة»(٤).

وعن أبي قتادة أنه طلب غريمًا له، فتوارى عنه، أبو قتادة أعطى قرضًا لرجل، فذهب إليه يبحث عن هذا الرجل ليعطيه ماله، فتوارى عنه واختفى، ما عنده ما يدفعه، ثم وجده، فقال: إني معسِر، معسِر أي ليس عندي ما أدفع، فقال: "آالله؟" يستحلفه، قال: "آالله" قال أبو قتادة: "سمعت رسول الله -صَلَّى الله

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٨) برقم: (١٤١٣)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٦٨) برقم: (٣٠٤)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٥ / ٩) برقم: (١٧٢٣)

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١) برقم: (٢٥٩٠)

عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيهِ الله مِنْ كَرْبِ يَوْم القِيَامَة فَلِيُنَفِّس عَنْ مُعْسِر أَوْ يَضَع عَنْهُ»[١]".

أنت أعطيت هذا الرجل خمسة آلاف درهم قرض لشهرين أو ثلاثة، ثم لما جاء الموعد ذهبت له: يا فلان، أين مالي؟ قال: يا أخي أصبت بأمرٍ أفقدني مالي، أو خسرت في تجارتي، أو صابني كذا وكذا، وما عندي إلا هذه الألفين درهم، فإن قلت: أعطني الألفين وأَخَّرْتَك لك أجر، وإن قلت: هات الألفين وأسقطت الباقي لك أجر، والأجر في الدنيا والآخرة.

إذن المال إخواني الأفاضل له أثرٌ عليك في دنياك، وفي أُخْرَاك، حتى في الدنيا قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث: «صَنَائِعُ المَعْرُوف تَقِي مَصَارِع السُّوء»[٢].

☜ الوصية الثالثة: قالوا له: ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[القصص:٧٧]:

نحن ما نقول لك: تصدق بكل أموالك، وابقى مفلس فقير، لا، ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، من الأكل، والشرب، والملبس، والمسكن، والمنكح، فإن

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ٣٣) برقم: (١٥٦٣)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠١٤)

لربك عليكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزوجك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه.

والعلماء ضربوا مثالًا للمال مع صاحبه في الدنيا:

قالوا: (المال مع صاحبه كالدابة مع صاحبها، فإما أن يركب الرجل دابته حتى توصله إلى المكان الذي يريد، وإما أن يحمل دابته على رأسه، أما الأول فهو المؤمن الذي استفاد من المال في تنفيذ غرضه، وأما الثاني فهو الرجل الذي يخدم المال، عبد للمال، يجمعه، يستكثره، يحرص عليه، ولا يستفيد منه في دنياه وآخرته، كالرجل يحمل الدابة على رأسه، هذا خادمٌ للمال، أما المؤمن فإن المال يخدمه؛ لأجل أن يصل إلى ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-).

ثم قالوا له في الوصية الرابعة: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[القصص:٧٧]:

أي: أحسِن إلى خلقه كما أحسن هو إليك.

والقاعدة عندنا في الشرع: [أن الجزاء من جنس العمل]، فإن أحسنت إلى الناس، أحسن الله إليك وزادك من فضله.

كيف أحسن إلى الناس؟

بالتصدق عليهم، بإخراج الزكاة، بإقراض المحتاج، بالإنفاق على من تجب النفقة عليهم.

قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٢].

انظر إلى هذه القصة، تبيِّن لنا أنك إذا أحسنت إلى الناس أحسن الله إليك، روى مسلم عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ» الفلاة صحراء، المنطقة الخالية «فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ» رجل في الصحراء وسمع صوت في السحاب أن اسقِ مزرعة فلان، فنزل الماء هذا كله في وادي، وفي مجرى، وفي فلك من الأفلاك، فأخذ يتتبع الماء، قال: «فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ

يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ» تعرفون المسحاة. «فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ، نَفْس الاسْم الذِي سَمِعَه فِي السَّحَابَة، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» يعني من الأرض، لما يزرع يغرس ويحصد «فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[1] فأمر الله -عَزَّ وَجَل- بإكرامه وبرزقه.

☜ الأمر الخامس، الوصية الخامسة: قالوا له: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:٧٧]:

ومن الفساد في الأرض؛ الكبر والبطر، فالله -عَزَّ وَجَل- لا يحب المفسدين، بل يعاقبهم أشد العقاب، لكن قارون أعماه بريق المال والذهب والفضة، فلم يرَ الحق ولم يسمعه، وهذه طبيعة الغنى، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾[العلق:٦-٧] الغنى سبب من أسباب الطغيان.

✍ ماذا قال بعدما نصحوه بهذه الخمس نصائح؟

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[القصص:٧٨] هذا المال الذي عندي أنا أتيت به بكسبي، وبذكائي، وبمهارتي.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٢) برقم: (٢٩٨٤)

وفي تفسيرٍ آخر: أي: أني لا أفتقر إلى قولكم هذا، نصائحكم هذه أنا لا احتاجها، فإن الله أعطاني هذا المال لعلمه بأني استحقه، ولمحبته لي، ولتقديره.

فقال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[القصص:٧٨].

إذا تذكرون قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، قصة صاحب الجنتين، كيف أطغاه الغنى؟

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥)﴾[الكهف:٣٤-٣٥] هذه الجنة، هذا المال له الخلود التام ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ لا يوجد يوم قيامة ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ على سبيل الافتراض ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا﴾ سيعطيني الله خيرًا منها، هذا كله بسبب طغيان المال، مع أن الله -عَزَّ وَجَل- قد يعطي العبد المال رغم كفره وفسوقه وضلاله من باب الاستدارج، ليزيد في الإثم، فيزيد عذابه.

قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِذَا رَأَيْتَ الله يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِب، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاج»[1] ثم تلا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[الأنعام:٤٤].

فرد الله عليه على قارون: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[القصص:٧٨].

لكن قارون استمر في طغيانه وفي عناده، ولم يقبل بنصيحة الناصحين، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾[القصص:٧٩]، في كامل زينته مع حشمه، وخدمه، وماله.

❁ **الإشكال في الناس انقسموا إلى قسمين لما رأوا هذا المال، وهذه المظاهر:**

القسم الأول: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص:٧٩] هذا الإنسان محظوظ عنده أموال طائلة، خدم، وحشم، ونساء، وجواري، وذهب، وفضة، ما يحتاج إلى أحد أن يطلب أن يساعده في أمرٍ، هؤلاء أصحاب الرؤية المادية الذين لم يدركوا ولم يعرفوا حقيقة المال، وحقيقة الدنيا، وحقيقة الآخرة.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧/ ٣٨٥٦) برقم: (١٧٥٨٤)

وللأسف حتى في زماننا هذا، وفي كل الأزمنة يوجد منهم الكثير، فيوجد أقوامٌ من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، تأثروا بالحياة المادية الغربية بالذات تأثرًا كبيرًا؛ وذلك لما ما لمسوه في الحضارة الغربية من تقدم تقني، وعسكري، فرأوا أن السير على خُطاهم سبب للتطور، وأن التمسك بالدين سبب للتخلّف، فقاموا يحاربون الإسلام.

وهؤلاء الذين يسمون بالليبرالية أو بمصطلح التنوير الإسلامي، وهذا للأسف موجود في زماننا هذا ويكتبون في الصحف، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، فهؤلاء سعوا إلى ضرب الدين باسم الدين، واستخدموا الخطاب الشرعي لنُصرة أفكارهم المادية، منطلقين من أصلٍ مهمٍّ عندهم وهو هدم الأصل يجب أن يُمارس بالأصل ذاته، **كيف ذلك؟**

❁ بدأوا بالطعن في العلماء الكبار الذين يؤخذ عنهم العلم، وبأن هؤلاء العلماء تفكيرهم تفكير قديم جدًّا، تفكير يرجع إلى ألف وأربعمئة سنة، ونحن الآن في زمن القنبلة النووية، والتقدم التقني، والحضارة، والأبراج، وناطحات السحاب، فوضعنا يختلف عن وضعهم، فقاموا يطعنون في علماء أمة الإسلام، خصوصًا ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحم الله الجميع–.

❁ **ثانيًا**: بدأوا يلمّعون الفلاسفة ممن لهم انحرافات كبيرة جدًّا في الدين، وفي الاعتقاد، ويظهرونهم على أنهم هم الأساس، منذ أيام أحدهم كتب مقالة بعنوان (بذرة التنوير) لو تقرؤونه موجود في إحدى الصحف كله فلاسفة الغرب، وآخر تراه يذكر بعض الفلاسفة الذين كفّرهم أهل العلم، بل بعضهم قُتِل زندقةً، فيتغنى بأشعاره، في حين أنه يسب شيخ الإسلام ابن تيمية ويلعنه ليلًا ونهارًا، هدفهم من هذا هو الطعن في الإسلام، ونصرة غير المسلمين، والسبب في هذا اغترارهم بالحياة المادية.

وعلى فكرة الحضارة الغربية الموجودة الآن حضارة قائمة على غير دين، قائمة على مادة فقط؛ ولذلك في الحقيقة هي جوفاء من الداخل، الأمم السابقة إذا تتأملون حضارتهم أقوى من حضارة أمم الغرب الحالية، وأمم الشرق، حضارة سليمان -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- حضارة قوية جدًّا لم تبلغ حضارتنا عشر معشارها، يسر الله له الجن والريح، تنقله أسرع من طائرات الدنيا في زماننا، حضارة الفراعنة إلى الآن عجزت الحضارة الغربية عن اكتشاف بعض أسرار الحضارة الفرعونية، إذن لا نغتر نحن بالحضارة.

لكن انظر للحضارة الإسلامية التي استمرت ثمان قرون تقريبًا، ثمانية قرون أثرها إلى الآن مستمر.

والسبب: حضارة قامت على الدين، قامت على العقيدة، فاستمرت، ودامت، وأثرها إلى الآن.

بل يحدثني أحد القضاة يقول: ذهبنا إلى إحدى المحاكم العليا في إحدى الدول الأجنبية كوفد، يقول: فلما وصلنا عند باب المحكمة، محكمة التمييز هذه أعلى محكمة في دولتهم، فيقول: وجدت على باب المحكمة لوحًا من الرخام عن اليمين وعن الشمال مكتوبٌ في هذا اللوح رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رَضِيَ الله عَنْهُ- في القضاء باللغة العربية، وبلغة تلكم البلاد، يقول: فلما دخلت سألت رئيس المحكمة لمَ؟ قال: من هذه الرسالة نستلهم قواعدنا في القانون.

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾[القصص:٧٩] هذا الصنف الأول، الصنف المادي.

الصنف الثاني: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾:

عرفوا حقائق الأشياء، عرفوا المال، عرفوا الدنيا، وأنها ستنتهي، وأن الحياة الآخرة هي الباقية. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[القصص:٨٠].

رب العالمين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في القرآن الكريم أخبرنا أن الحياة في الآخرة هي الأفضل من الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[آل عمران:١٤].

ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[آل عمران:١٤].

✍ ثم ماذا قال؟

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:١٥]

✍ ما صفات أصحاب هذا الخير؟

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ عقيدة، أصحاب عقيدة، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)﴾[آل عمران:١٦-١٧] هؤلاء هم أصحاب النعيم المقيم.

ما فائدة الحضارة؟ وما فائدة الغنى وأنت على غير دين الإسلام؟!

لذلك يُؤتى يوم القيامة بأسوأ أهل الأرض، ما رأى خيرًا قط، فيُغمس في الجنة غمسة واحدة، يقال: هل رأيت شرًّا قط؟ بؤسًا قط؟ فيقول: لا، ويؤتى بأنعم أهل الأرض من أهل الكفر من أهل النار فيُغمس في النار غمسة، فيقال: هل مرّ بكَ خيرًا قط؟ فيقول: لا.

فلما انتهت بقارون حالة البغي والبطر، وزينة الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه؛ بَغَتَه العذاب، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[القصص:٨١]. أين ماله، وسلطانه، وخدمه، وحشمه، وحملة مفاتيحه؟ لم ينفعه أحد.

وبعد أن رأى الجميع العقوبة التي حلت به وبماله، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾[القصص:٨٢] علموا أن الله -عَزَّ وَجَل- يعطي العباد المال لحكمة، ويقدر أن يُمسِك عنهم المال لحكمة ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾[القصص:٨٢] كانوا يتمنوا أن يكونوا مثله، فإذا كانوا مثله، فستكون حالهم كحاله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[القصص:٨٢] فصار هلاك قارون عقوبةً له، وعبرة وموعظة لغيره.

ثم ختم الله القصة بقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص:٨٣].

إخواني الأفاضل، هذه القصة مليئة بالفوائد، وبالدروس والعبر، لكن الوقت لا يتسع لمزيد بيان.

علينا أن نثق بربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فما أعطانا فهو بقدرٍ منه ولحكمة، وما منعنا منه فبقدرٍ منه ولحكمة، وما أعطانا إياه فلا بد أن نسارع بإنفاقه في الخيرات والطاعات استعدادًا للقائه في يوم القيامة، أشياء يسيرة.

يعني الواحد منا في زماننا الآن ربما يشتري لولده لعبة بألف درهم، وبخمسمئة درهم، ويسافر مع أولاده في الفسحة يتمشى معهم ويدفع ست وعشرة آلاف درهم، طيب لو سألناه: كم تصدقت في العام كله؟ اجعل لك صدقة من راتبك ولو بالقليل، قليلٌ دائم، خيرٌ من كثيرٍ متقطع، ورُب درهم سبق ألف درهم

بعض الناس لما يأتي الراتب يخصم منه ثلاثمئة أربعمئة درهم، هذه باستمرار يخصمها للصدقات ما يمسها، ويقول: والله وجدت بركة عظيمة في راتبي، وفي مالي.

طيب، وبعض الناس يجعل له إطعام مساكين، يذهب إلى مطعم من المطاعم التي يثق في أصحابه، فيقول: هذه مئتين درهم وأطعم لي عشرين مسكين، الوجبة بعشر دراهم، أو خمس عشرة درهم وأطعِم، وبعض الناس يُساهم، كلٌّ على حسبه.

الشيطان يقول لك: لا تنفق، يخوفك من الفقر، يعدُك بالفقر، لا تنفق، وراك مسؤوليات، وعندك زوجة، وعندك أولاد، وعندك ديون، وتريد أن تبني بيتًا، وتريد أن تشتري سيارة، وتريد أن تستعد للعيد، وتريد أن تستعد لرمضان، ليش تنفق؟ هل أنت مسؤول عنهم؟

قل: نعم، أنت مسؤول عنهم، أنفق ولو درهم، ولو عشرة، لا تبخل، لعل الله -عَزَّ وَجَل- أن يجعل فيما تقدمه فكاكًا لك من عذابٍ في القبر ويوم القيامة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقني وإياكم لكل خير، اللهم أعنَّا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم حرّم وجوهنا على النار، اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

هذا والله أعلم سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

****

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【تطبيق الإذاعة】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【يوتيوب Youtube】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【تمبلر Tumblr】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【بلوجر Blogger】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【فليكر Flickr】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【لعبة كنوز العلم】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【البريد الإلكتروني】

info@baynoona.net

【الموقع الرسمي】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة